أحمد مصطفى

عندما قامت ثورة يوليو كنت فى السجن بتهمه العيب فى الذات الملكية، والشاهد على فى القضية كان ضابطا طرده ضباط يوليو من الخدمة بتهمة العمالة للقصر الملكى وللاحتلال، ومع ذلك أتوا به شاهدا وأخذت المحكمة بشهادته وحكمت على بالحبس عامين.
أحمد مصطفى (فى حواره معى)

الأب كان نجار باب وشباك، ولكن الفقر كان يلاحقه بحيث يصبح الخبز شحيحا، وقد يمضى عليهم اليوم بلا طعام فتأخذهم الأم إلى أختها بحجة زيارتها، والهدف الحقيقى هو أن يجد الأطفال بعضا من طعام. ومع ذلك يحاول الأب أن يدفع الابن إلى الدراسة لعله يفلت بجلده ويفلتهم معه من الجوع.

ومن كتاب الشيخ ياقوت إلى مدرسة الجمعية المصرية الخيرية الأولية ثم مدرسة مبروك الابتدائية، يمضى الفتى سريعا ومتفوقا حتى امتحان الشهادة الابتدائية والمطلوب خمسون قرشا رسوم الامتحان، الأب استسلم فالخمسون قرشا صعبة المنال، لكن أحمد صمم وعاند وذهب إلى خالته وأتى بالخمسين قرشا وامتحن ونجح وقفز إلى مدرسة المرقسية الثانوية حيث نجح فى الحصول على نصف مجانية، ثم تأتى الحرب العالمية الثانية وتحت وطأة الغارات الجوية التى تكثفت على الإسكندرية تقرر تهجير عديد من سكان الإسكندرية، فتكون كارثة إضافية على الأسرة وكارثة شخصية عليه فمواصلة الدراسة شبه مستحيلة، لكنه واصل مصمما على النجاح، ونجح والتحق بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية، ووجد عملا فى مصلحة الجمارك وواصل دراسته فى المعهد.

وأحمد منذ أيام دراسته فى المدرسة المرقسية عشق القراءة. ولكن القراءة رفاهية فإتفق مع بائع كتب ومجلات قديمة أن يقرأ بعضا من المجلات القديمة مقابل قرش تعريفة، بما يعنى أن يمضى على قدميه ماشيا إلى المدرسة عدة أيام ليدبر هذا المبلغ الذى يبدو باهظا

بالنسبة له. قرأ أعداداً كثيرة من مجلتى الأزهر ومصر الفتاة، توجه إلى الإخوان ثم إلى مصر الفتاة ولكنه لم يجد لا هنا ولا هناك ما يغريه. فقد كان يفيض حماسا ضد الانجليز. وبعد تفكير طويل حول كيفية محاربة الانجليز قرر تشكيل تنظيم سرى وبدأ بأصدقائه فى الحى وفى المدرسة: سعد عبد المتعال، عبد القادر عامر، عبد الحميد غالى وجابر المعايرجى وآخرين وفى ١٩٤٥ كانت الحرب تنتهى وامتلأت جدران الاسكندرية بشعارات تقول : «يا شباب ١٩٤٥ كن كشباب ١٩١٩» هم بدأوا فى الكتابة على الجدران «يوم النصر هو يوم خروج الانجليز من مصر»، و«استعدوا للثورة» و«الجلاء بالدماء». وكانوا يصطحبون اصدقاءهم فى جولات فى الحى حيث توجد كتاباتهم على الجدران ويتعرفون على موقفهم من هذه الكتابات بهدف ضم من يجدون عندهم حماساً. والكتابة على الجدران لا تكفى كتبوا منشورات وطبعوها على البالوظة والتوقيع «المجاهدون». أحدهم وهو جابر المعايرجى نجح فى توفير آلة طباعة عن طريق صديق له يعمل فى إحدى القنصليات وطبعو عليها منشوراتهم، لكنها لا تكفى فقرروا أن يوزعوا أنفسهم على المساجد يوم الجمعة ويلقى كل منهم خطبة بعد الصلاة مطالبا الجماهير بالجهاد ضد الانجليز. لكن الجماهير حتى وان اقتنعت لا تعرف كيف تتصل بهم، ومن مصروفهم الشحيح استأجروا غرفة فى إحدى المدارس الأولية بحجة أنها فصل لمحو الأمية. لكن البوليس السياسى الذى تابع خطبهم فى المساجد استدعاهم وحذرهم، وفى نفس اليوم طردهم صاحب المدرسة. لكن أحمد ورفاقه يتقدون حماسا ضد الانجليز فذهبوا إلى الإخوان واستمعوا إلى مواعظ وخطب طويلة لكنهم اكتشفوا أنه مجرد كلام وهم يريدون عملا فوريا. ولم يبق أمامهم سوى مصر الفتاة فقد استبعدوا الوفد بسبب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢. وفى مصر الفتاة التقوا قائدا وطنيا حقا هو الاستاذ ابراهيم طلعت المحامى كان يتقد حماسا هو أيضا ولعله اكتشف انهم نموذج لما كان يحلم به من شباب فاحتضنهم وافتتح لهم مقراً لمصر الفتاة فى حيهم (حى الجمرك) وساعدهم على طباعة منشوراتهم وتدفقت عليهم عضوية عديدة فقرروا عقد جمعية عمومية للشعبة لانتخاب قيادة لها ولكن قيادة مصر الفتاة كان حذرة منهم وحتى من ابراهيم طلعت، وارسلت من أفسد الاجتماع فانسحبوا من مصر الفتاة، لكن أحمد عنيد ولقن زملاؤه العناد فقرروا افتتاح مشروع اقتصادى يدبرون منه مالا ويتخذونه مقرا، استدان سعد عبد المتعال ثلاثون جنيها من خالته واقنعها بربح وفير، تقدم لهم شاب اسمه

ابو المكارم تقرب منهم. هو من المحلة ويعرف مهنة النسيج واشترى نولى نسيج يدوى وقبل أن يبدأ مشروعهم فى العمل اختفى ابو المكارم وجاء البوليس السياسى بزعم التفتيش عن قنابل ودمر كل شىء فى الدكان وضاع المشروع. وفى عام ١٩٤٦ بدأ الصراع الجماهيرى المفتوح ضد الانجليز، مظاهرات صاخبة شاركوا فيها. ضربهم البوليس وضربوه وفى اجتماع لهم سألوا أنفسهم مصريون يضربون مصريين فهل نترك الانجليز آمنين، وكان البوليس السياسى قد لفت نظرهم إلى القنابل، بحثوا طويلا حتى عثروا على من يبيع لهم بقروشهم القليلة قنابل. لكن مشكلتهم هى أن تفجيرات عديدة قام بها آخرون لكنها أوقعت أيضا مصريين، والدم المصرى لا يهدر المطلوب فقط هو قتل الجنود الانجليز. وفى ٤ مارس حيث المظاهرة المجيدة فى الاسكندرية تدافعوا إلى ميدان محطة الرمل وتقدم أحدهم حاملا قنبلة التعليمات لديه أن يبتعد عن المصريين. وابتعد أكثر مما يجب فاقترب أكثر مما يجب من الانجليز واطلقوا عليه الرصاص. وفقدت المجموعة أول شهيد لها هو العامل سليمان أبو المجد. ورغم ذلك حاذروا تماما من اصابة أى مصرى بما أكسبهم تعاطف المصريين وحتى القاضى الذى حاكمهم فيما بعد تعاطف معهم وهو بالمناسبة المستشار أحمد الخازندار الذى قتله الاخوان. واتقنت المجموعة شعار «ضد الانجليز وحدهم» وفى ثمانية أيام دوت الاسكندرية بأربعة تفجيرات ضد جنود الاحتلال. غضب الانجليز واعلنوا الانسحاب من المفاوضات ورصدت الحكومة جائزة قدرها خمسة آلاف جنيه لمن يرشد عنهم. وأرشد عنهم محسن كامل شقيق زميلهم فاروق كامل. وقف فى المحكمة يشهد على أخيه، لكن القاضى الخازندار أذله وهو يسأله هل شهدت على أخيك؟ وفى خزى قال نعم، ولكن المجموعة استمرت والباقين منها ألقوا قنبلة على منزله. و«الأهرام» نشرت عنوانا «أخ يشهد على أخيه». وعندما افرج عنه اشتعلت حرب فلسطين كان يعمل فى جمرك رفح فكان يدبر للمقاومين الفلسطينيين تهريب السلاح بل يشترى لهم سلاحا من الاسكندرية. وكان له رفاق فى المجموعة هربوا من السجن هم عبد القادر عامر ومصطفى الدفراوى وعبد الرحمن مرسى وسافروا للقتال مع الفلسطينيين فى كتائب فوزى القاوقجى أرسل لهم أنه سيلحق بهم فأرسلوا لا تأتى ، فالأمر ليس جديا. وأخيرا تذكر رفاق السجن من الشيوعيين عبد المنعم خربوش، حمزة البسيونى، عبد المنعم ابراهيم وغيرهم كان معجبا بصلابتهم وبرؤيتهم وأفكارهم وانضم إليهم..

وهنا تذكر البوليس حتى بعد ثورة يوليو قضية العيب فى الذات الملكية وبعد أن امضى العقوبة بعدة أشهر أعيد القبض عليه بتهمة معاكسة هى العداء لثورة يوليو، وأمام مجلس عسكرى عال يرأسه الفريق الدجوى جرت محاكمته مع عديد من رفاقه محاميه سأل الشاهد الضابط سمير درويش: هل صحيح أن الانجليز منحوك وسام نظير خدماتك للتاج البريطانى؟ فأجاب نعم. فسأله ما هى الخدمات التى قدمتها. هنا انتفض الدجوى ومنع الاجابة، وحكم على أحمد بالسجن ثمان سنوات أشغال، ثم أضيف إليها ثلاث سنوات اعتقال.

وعندما خرج التحق بعمل فى شركة الورق الأهلية، وانتخب عضوا فى مجلس الإدارة. ثم سافر إلى عدن ليعمل خبيرا فى وزارة العدل والضمان الاجتماعى، ثم خبيرا فى البرنامج الإنمائى. وعندما أقام الحزب الشيوعى المصرى محطة اذاعة تنطلق من عدن ارتفع صوته عبرها متحدثا مع معشوقته مصر. وهزه الشوق فأتى إلى مصر ويعود ليقبض عليه عام ١٩٧٥ ثم يكون واحداً من مؤسسى حزب التجمع ويقبض عليه عقب انتفاضة يناير ١٩٧٧. ويبقى ولم يزل يناضل رغم السن المتقدم فى صفوفه .

أنه معدن لا يتكرر من الرجال.